

## قضية اليوم

# 19 عاماً على كمين أنصارية:

نحو عقدين مرّ على كمين أنصارية، عام 1997، والجرح الإسرائيلي لما يلتئم. «أغنية الصفصاف» هي التسمية التي أطلقها العدو على العملية التي انتهت بكمين أرخي بظلال ثقيلة، ولا يزال، على نظرة إسرائيل الى الذات وقدرتها الاستخبارية والتنفيذية، كما مثلت صدمة، ضمن سلسلة صدمات، تلقتها إسرائيل في صراعها مع حزب الله وقدراته الاستخبارية.

لكل عملية حكاياتها ورجالها. لكن تبقى لعملية أنصارية بصمتها. فهي حلقة من مسلسل أبدعه عقل حزب الله المقاوم.

ومع أن الكثير من تفاصيلها ستبقى مغيبة بقرار مسبق، لكنها تبقى أكثر حضوراً في تاريخ المقاومة الحديث الذي سجله حزب الله، وأعمق تجذراً في صناعة مستقبل وطن برغم أن ما كشفه حزب الله، عن اختراق المقاومة لبيت طائرات الاستطلاع الإسرائيلية ليس سوى جانب من احتراف فائق التوقعات في مواجهة جيش ينتمي الى دولة تتباهى بتفوقها النوعي، لكنه فتح الأفق أمام الخيال كي يقتحم أسواراً كان يعدها من ضروب الوهم، علّه يتلمس بعضاً من «أعجوبة» المقاومة، التي صنعت تحريراً غير

مسبوق في الصراع العربي الإسرائيلي. وبالمعيار العسكري، كان كمين أنصارية، المعد باحتراف استثنائي، إنجازاً مدوياً في تاريخ المواجهات بين حزب الله وجيش الاحتلال، وتحول الى معلم شاخص في تاريخ المقاومات في لبنان والمنطقة. ومما يميزه أنه أجهز على قوة النخبة من سلاح البحرية الإسرائيلية المتخصصة في العمليات الخاصة، وحدة «شبيطت 13». وهو ما ألقى بظلاله على وعي صانع القرار العسكري الذي أيقن بعد هذه العملية، حجم الأخطار التي تنتظر قوات النخبة لديه إن استمر في عمليات

وكانت الطائرات تُجري عمليات مسح يومية لها، من أجل ضمان عدم حصول مفاجآت. وهو ما مكّن المقاومة من افتراض خط رئيسي وخطوط ثانوية.

وعليه، فقد أعدت المقاومة خطة من عدة مهمات بينها:

المهمة الأولى، قُضت بزرع مجموعات التخريب (وحدة الهندسة) عدداً من العبوات الكبيرة، وذات الواجهة التفجيرية الواسعة على الطريق الرئيسي وعلى طرقات فرعية في المنطقة. وأخذت المقاومة في الاعتبار، ان العدو، عندما يستعين بوحدة الشبيطت، فهو يلجأ الى وحدة متخصصة متدربة على السير نحو عشرة كيلومترات، بعد انزالها على الارض من البحر أو الجو، لأجل تنفيذ مهمتها. وهذه الوحدة تكون مزودة ليس فقط بمواكبة للفريق المعني بزرع العبوة، بل أيضاً بفريق حماية يبقى قريباً من ساحة العمل، وهو ما ظهر عندما قرر العدو اللجوء الى البحر. ما جعل المقاومة تضع في حسابها ان مواجهة كبيرة قد تحصل. وبالتالي، كان على المقاومة ليس زرع العبوات فقط، بل أيضاً، تنفيذ عمليات انتشار شبه يومية في المنطقة، وعلى نقاط محددة، بطريقة لا تحتمل ان تحرك من شأنه ان يعطي العدو إشارة الى ان هناك من ينتظره على الارض.

اما المهمة الثانية للمقاومة بعد منع الجنود من الوصول الى الهدف، فهي سحب القيادي من مكان وجوده بسرعة ومنع تعرضه لغارة معادية، وتأمين خط اخراجه من المنطقة بطريقة تمنع العدو من تحقيق هدفه

يقوم به جنود في ساحة الجريمة نفسها.

ولكون المقاومة تعرف مسبقاً نقطة الهدف، كان عليها تقدير خط تحرك العدو باتجاه الهدف والتوقيت. وفي هذا السياق، جاءت المعطيات الواردة من اعتراض أجهزة تقنية خاصة بالمقاومة لبيت طائرات الاستطلاع الاسرائيلية، لتعطي فكرة عن مسارات أرضية يفكر فيها العدو،

التهديد الى فرصة لايقاع العدو في كمين يحقق سلسلة اهداف في الوقت نفسه.

وبناء عليه، سربت معطيات بوسائل مختلفة وصلت الى العدو، اتاحت له تحديد مكان قائد ميداني كبير في المقاومة. وياشر العدو عملية الرصد له، من خلال شبكات تجسس أرضية (بشريا) ومن خلال عمليات تعقب (لوجستيا). وعندما وجد العدو، ان هناك فرصة لتنفيذ كمين من خلال زراعة عبوة كبيرة، تضمن اصابة قاتلة للقيادي الميداني ومن يكون برفقته، تقرر البدء بالعمل على مشروع التنفيذ.

عند هذه النقطة، كان على المقاومة ان تدخل مغامرة هي الاكثر حساسية، بأن تُبقي القيادي تحت نظر استخبارات العدو، ما يعرضه لاحتمال الاغتيال وربما من خلال الجو. علما ان اجراءات عدة كانت تعطي العدو إشارة الى ان عملية الاغتيال يجب ان تتم من خلال عمل

### إبراهيم الامين

كُشف الكثير عن عملية أنصارية ونُشرت معلومات غير واضحة عن عناصر تتعلق بها لناحية الهدف واسباب فشلها. وظلت عناصر اساسية طي الكتمان هنا بعضها: كانت العملية كميناً معداً بناء على سلسلة معطيات، اولها واساسها، ان المقاومة تنبته انه خلال الفترة السابقة للعملية، وتحديدًا مع نهايات عام 1994، بدأ العدو بتنفيذ خطة العمل خارج الشريط المحتل. وصارت شبكات التجسس ترصد المقاومين والقادة الميدانيين، ومن ثم تتسلل مجموعات كومندوس اسرائيلية وتزرع عبوات، إما في سيارات او مركبات او على طريق الزامي يعبره هذا الكادر أو ذاك، ما تسبب باستشهاد عدد من الكوادر في عمليات بقي بعضها خارج التداول. وبعضها فشل ايضا. فوجدت قيادة المقاومة ان من المفيد تحويل هذا



حتى بعد وقوع جنوده في الكمين. اما المهمة الثالثة، فكانت استغلال المواجهة والكمين المتفجر، لأجل تحقيق هدف كبير، وهو أسر جنود للعدو، سواء من الاحياء او حتى من القتلى.

بعد وقت غير قصير من الانتظار، حصلت المقاومة على اشارات قرابة منتصف الليل عن حركة معادية. فكانت المجموعات المعنية بالكمين في حالة الاستنفار الاساسية.

## رواية إسرائيل لـ «أغنية الصفصاف»: حزب الله كان ينتظرنا

### محمد بدير

اسم العملية: أغنية الصفصاف. التاريخ: ليل 4. 5 ايلول 1997. الوحدة المنفذة: «شبيطت 13»، ثاني أهم وحدة نخبة في الجيش الإسرائيلي، وهي متخصصة بالعمليات الجرمائية. 16 جندياً من الوحدة ينفذون بعد منتصف الليل عملية إرهاب على النشاطات المقابل لبلدة أنصارية (جنوب لبنان) ويشرعون بالتسلل عبر طريق ترابي أطلق عليه في خطة العملية اسم «طريق المرج». المهمة: زرع عبوات ناسفة في سيارة مدنية، وتفخيخ عدة نقاط في المحيط الهدف: لم يُعلن قط، وإن كانت تقارير صحافية إسرائيلية قد أكدت أنه أحد المسؤولين الكبار في المقاومة آنذاك. النتيجة: «كارثة الشبيطت»، الحادثة التي حفرت في الوعي العسكري الإسرائيلي بوصفها أكبر واقسى إخفاق عملياتي لوحدة الكوماندوس البحري في تاريخها.

الوحدة وقعت في كمين محكم أعدته المقاومة، سبب مقتل 11 جندياً من «الشبيطت»، بينهم قائد الفصيل، وهو ضابط برتبة مقدم، كذلك قتل جندي ثانٍ عشر من وحدة الإنقاذ

التي قدمت لإخلاء المصابين، فيما بلغت حصيلة الجرحى أربعة. حدة الأستباك دفعت قوة الإنقاذ إلى الانسحاب سريعاً تحت النار، ما مكّن المقاومين من وضع اليد على جثة أحد جنود القوة المهاجمة التي بقيت ممزقة في أرض المعركة.

تفيد الرواية الإسرائيلية بأن الجندي الوحيد الذي لم يتعرض للإصابة، كان رجل الإشارة، الأمر الذي مكّنه من المناورة بالنار واستدعاء قوة الإنقاذ إلى المكان. في الأثناء، كان قد حضر رئيس هيئة الأركان الإسرائيلي، أمنون شاحاك، إلى غرفة العمليات الرئيسية في مقر وزارة الحرب بتل أبيب وأشرف مباشرة على إدارة عملية إخلاء قوة الشبيطت من مكان العملية. وفيما طلب شاحاك من قوة تابعة لوحدة «إيغوز» أن تكون على جاهزية للتدخل، كانت مروحيات «كوبرا» تحلق فوق منطقة العملية لتؤمن هبوط مروحية من نوع يسعور على مسافة نحو 100 متر من بقعة الأستباك ونزول 12 جندياً من قوة مختلطة من «شبيطت 13» ووحدة الإنقاذ المتخصصة 669. القوة المنزلة انقسمت سريعاً إلى مجموعتين: الأولى للتغطية والرد على مصادر



**خطّ العدو لاستخدام نوعين من المتفجرات في الاغتيال لبيدو جزءاً من «تصفيات لبنانية داخلية»**



الذئبان، والثانية للبحث عن المصابين والمباشرة بإخلائهم. لكن صلبات نارية أطلقت على هذه القوة خلال المهمة أدت إلى مقتل الطبيب المرافق فيها، وهو ضابط برتبة نقيب. في وقت لاحق، روى نائب قائد المروحية ما شاهده في مقابلة صحافية: «كانت الليلة شديدة الظلمة، واستعنا بأجهزة رؤية ليلية. أطلقت علينا كميات كبيرة من النيران. عندما اقتربنا من مكان الحادث رأينا نقاطاً مضيئة. لم يكن واضحاً إن كانت هذه فوانيس أو طلقات نار. رأينا عدة حرائق صغيرة.

كان صعباً من الجو تقدير خطورة الموقف. بعد خمس دقائق من إنزال قوة الإنقاذ، سمعنا قائد القوة يبلغ على اللاسلكي بصوت جدي جداً بوجود عدد كبير من القتلى». استمرت العملية، منذ لحظة فتح النار حتى الأستباكات التي واكبت عملية إخلاء المصابين نحو ثلاث ساعات. وقبل طلوع الفجر، أصدر رئيس الأركان أوامره لقوة الإخلاء بالانسحاب من المكان دون أن تتمكن من سحب جثة الجندي إيتمار إيليا، وكذلك أشلاء من جثث بعض الجنود الآخرين. في حزيران 1998 أعيدت الجثة والأشلاء جميعها إلى إسرائيل في إطار عملية تبادل مع حزب الله أدت إلى إطلاق سراح ستين أسيراً من أسرى المقاومة و38 جثماً من المقاومين شهداء.

في كتابه «حرب دون شارة» وصف قائد وحدة إيغوز في حينه، موشيه تميز، المشاعر القاسية التي عانها نتيجة العملية، ورجح فرضية أن يكون حزب الله قد حصل على معلومات مسبقة حول العملية، ما مكّنه من نصب كمين لمقاتلي «الشبيطت».

في أعقاب «الكارثة»، تشكلت أربع لجان تحقيق من أجل محاولة الوقوف على حقيقة ما حصل، وخصوصاً كيفية حصول حزب الله على معلومات مسبقة عن عملية بهذا المستوى من السرية. وخلصت اللجنة التي أنشأها الجيش الإسرائيلي، برئاسة الجنرال غابي أوفير، إلى الاستنتاج أن قوة «الشبيطت» وقعت في كمين عرضي، كان جزءاً من شبكة كমান نشرتها المقاومة في أماكن مختلفة بجنوب لبنان. في حينه أعطى الأمين العام لحزب الله، السيد حسن نصر الله، إشارة واضحة في خطاب بعد الحادثة أعلن فيه أن «المقاومة كانت في انتظاركم»، إلا أن المؤسسة العسكرية في إسرائيل كابت ورفضت التسليم باحتمال أن يكون حزب الله قد نجح في اعتراض معلومات عن العملية. في 31 آب 2007، نشرت صحيفة معاريف تحقيقاً قالت فيه إن إشارة البث الخاصة بالطائرة المستيرة عن بُعد التي كانت تسمح لمنطقة العملية طوال أسبوعين قبل التنفيذ وترسل صوراً مباشرة لها إلى محطة التحكم الأرضي داخل إسرائيل لم تكن مشفرة، ورجحت أن يكون هذا الخرق وراء اكتشاف أمر العملية، وهو الأمر